

## المعجزات الحسية لخاتم الأنبياء

### 1. الدكتور سعيد عليوان\*

#### مقدمة:

لقد أيد الله نبينا محمد ﷺ بمعجزات حسية تزد كثره مجموع معجزات الأنبياء السابقين المعروفين، وهي معجزات لا مناص من قبولها لوصولها إلينا بالأسانيد الصحيحة المتواترة المفيدة لليقين<sup>(1)</sup>. وذلك منذ أعلن أنه نبي مرسل من عند الله إلى العالمين، بل منذ ولادته، بل وقبلها.

وكانت هذه المعجزات الحسية من جنس معجزات الأنبياء السابقين عليه، وقد أيده الله بهذه المعجزات المادية لإلزام

☆ أستاذ محاضر في الفكر الإسلامي المعاصر بكلية أصول الدين والشرعة والحضارة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.

(1) - محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ط 8. دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، 1985. ص 149.

الشهود الحجة وإقناعهم بصدق ما أعلنه من النبوة والرسالة<sup>(2)</sup>. من هذه المعجزات:

— انشقاق القمر الذي دلّ عليه قوله تعالى: «افترت الساعة وانشق القمر»<sup>(3)</sup>. وقد روى هذا الانشقاق<sup>(4)</sup>. جمع

(2) - طه الدسوقي، نظرية النبوة في الإسلام، د. ط. دار الهدى، القاهرة، 1981. ص 124.  
(3) - القمر: 1.

(4) - حديث انشقاق القمر. أخرجه البخاري في كتاب "أحاديث الأنبياء"، وأخرجه مسلم في كتاب "صفة القيامة"، وأخرجه غيره من عامة علماء الحديث. وقال ابن كثير: وردت بذلك الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة. (ابن كثير أبو الفداء إسماعيل، تفسير القرآن العظيم، د. ط. دار الفكر، د م ن. د ت. ج 4. ص 261.

— نبع الماء من بين أصابعه الشريفة :  
يقول أنس بن مالك "أوتي رسول الله ﷺ  
بقدر فيه ماء قليل وهو بقاء فوضع يده  
فيه فلم تدخل، فأدخل أصابعه الأربع  
وقال للناس : هلموا إلى الشراب. قال  
أنس فقد رأيت الماء وهو ينبع من بين  
أصابعه. فلم يزل الناس يروون حتى رويوا"  
(8). وقد تكرّر هذا يوم الحديبية. فعن

أبو السعادات. المرجع السابق. ص 162.

(8) - حديث نبع الماء من بين أصابعه الشريفة  
ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب الوضوء.  
ومسلم في كتاب الفضائل. ومالك في الموطأ في  
كتاب الطهارة. وغيرهم من أئمة الحديث بطرق  
مختلفة كثيرة حتى نقل الزرقاني عن القرطبي  
قوله: إن نبع الماء من بين أصابعه ﷺ تكرّر في  
عدة مواضع في مشاهد عظيمة وورد من طرق  
كثيرة يفيد مجموعها العلم القطعي المستفاد من  
التواتر المعنوي. (راجع الزرقاني عن الموطأ. 1/  
65، عن البوطي. فقه السيرة. ص 149-150  
(.

كبير من الصحابة، منهم عبد الله بن  
مسعود. وكان ذلك في مجال التحدي (5).  
استجابة لدعوة الرسول ﷺ (6).

— كلام الحمادات : قال أنس بن  
مالك كنا عند رسول الله ﷺ فأخذ كفا  
من حصي فسبحن في يده حتى سمعنا  
التسبيح.  
— شهادة الشجرة والذئب له بالنوبة:  
والأمر مروى عن أبي سعيد الخدري وأبي  
هريرة وهما ثقات (7).

بذلك الأحاديث المتواترة بالأسانيد الصحيحة.  
(ابن كثير أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن  
العظيم. د. ط. دار الفكر. د م ن. د ت. ج 4.  
ص 261.

(5) - محمد الأنور حامد عيسى، وأحمد أحمد  
أبو السعادات. في رياض العقيدة الإسلامية. د  
ط. دار التوفيق للطباعة. الأزهر. القاهرة. د  
ت. ص 161-162.

(6) - طه الدسوقي. المرجع السابق. ص 124.

(7) - محمد الأنور حامد عيسى، وأحمد أحمد

سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال : لما كنا يوم الحديبية أتى النبي صلى الله عليه وسلم بركوة فيها ماء - والركوة إناء صغير من الجلد يشرب به الماء - فجهش الناس - أي استعدوا للشرب من شدة العطش - فقلت ما مع الناس ماء إلا ما بين يديك يا رسول الله. قال : فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه الشريفة كأها العيون. فأصاب الناس من الماء حاجتهم، قال: قلت له كم كنتم. قال : لو كنا مائة لكفانا، كنا خمسة عشر مائة<sup>(9)</sup>.

— حين الجذع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
جاء في الصحيحين عن جابر قال : "كان

<sup>(9)</sup> - والحديث مروي بالفاظ أخرى عن قتادة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما (محمد الأنور حامد عيسى، قضايا عقدية. ط1 . شركة الصفا للطباعة والترجمة والنشر. القاهرة. 1988. ص 123).

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم إلى جذع من جذوع النخل، فلما صنع المنبر وقام عليه سمعوا لذلك الجذع صوتا كصوت العشار حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت".

— إشباع الخلق الكثير من الطعام القليل : وفي الصحيحين أيضا عن جابر أن شاته التي ذبحها لرسول الله صلى الله عليه وسلم مع صاع من شعير أكل منها من كان يحفر الخندق وهم ألف، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم باركها، يقول جابر في النهاية : "وإنا برمتنا للفظ كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو".

— ومن المعجزات الحسية ما كان في ذاته مثل النور الذي كان يتنقل من ظهر إلى بطن إلى ظهر إلى أن جاء صلى الله عليه وسلم.

— خاتم النبوة الذي كان بين كتفيه صلى الله عليه وسلم (10).

<sup>(10)</sup> - محمد الأنور حامد عيسى، وأحمد أحمد

من بيته أثناء الهجرة والكفار محيطون  
ببيته يترصدون به ليقتلوه. فقد علق النوم  
بأعينهم جميعا حتى لم يحسّ به أحد منهم،  
وكان من تِئمة السخرية بتأمرهم على  
حياته ما امتلأت به رؤوسهم من التراب  
الذي ألقاه رسول الله ﷺ عليها إذ خرج  
من بينهم وهو يتلو قوله تعالى: ﴿وجعلنا  
من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا  
فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ (13).

— علم رسول الله ﷺ بمؤامرة بني  
النضير في الغدر به، وذلك عندما قرروا  
أن يقوم عمر بن جحاش النضري بأن  
يظهر على البيت وي طرح صخرة على  
رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ واقفا  
إلى جنب جدار من بيوتهم، فأخبره الله عز  
وجل، فنهض ﷺ سريعا وتوجه إلى المدينة  
ولحقه أصحابه فقالوا: قمت ولم  
نشعر... قال ﷺ: "هت يهود بالغدر

— تسليم الشجر والجبال عليه ﷺ :  
فمن علي ﷺ أنه قال: "كنت مع النبي  
ﷺ بمكة فلم يمر النبي ﷺ بشجر ولا جبل  
إلا قال: السلام عليك يا رسول الله"  
والحديث مروي بروايات أخرى عن عمر  
بن الخطاب رضي الله عنه وعن وكيع بن مرة عن  
أبيه (11).

— ما حدث لسراقة بن جعشم وفرسه  
وهو يلحق برسول الله ﷺ (12). فهي  
معجزة خارقة لرسول الله ﷺ اتفق أئمة  
الحديث على صحتها ونقلها، وفي  
مقدمتهم البخاري ومسلم.

— ومن أبرز المعجزات الخارقة خروجه

أبو السعادات. المرجع السابق. ص 161-163

(11) - محمد الأنور حامد عيسى. قضايا  
عقدية. ص 124.

(12) - ومن أراد معرفة التفاصيل فليرجع إلى  
كتب السيرة النبوية وكتب الصحاح.

غارق في غفلة النوم، أن يهوي به عليه فيقتله، ولكن العناية الإلهية تدخلت لتملأ قلب المشرك بالرعب، وأن تقذف في ساعديه تياراً من الرحمة فيسقط من يده السيف ثم يجلس متأدباً مطرقاً بين يدي خاتم الأنبياء. وهذا تجسيدا لقوله تعالى: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ (16). (17).

— بصق النبي ﷺ في عين علي بن أبي طالب ﷺ وكرم وجهه يوم خيبر، حيث كان يشتكي منها، فبرأت في الحال حتى كان لم يكن بها وجع (18).

— ما أوحى الله إلى رسوله ﷺ من أمر

(16) - المائدة: 67.

(17) - المراد بالقصة هنا ليس عدم التعرض للأذى، بل منع أي يد من الوصول إليه بغية اغتياله وقتله لقتل الدعوة التي بعث ليبلغها (محمد سعيد رمضان البوطي. المرجع نفسه. ص 273).

(18) - وهذه المعجزة متفق عليها عند البخاري ومسلم.

فأخبرني الله بذلك فقمت" وهذا يعدّ واحدة من الخوارق الكثيرة التي ألهم الله بها رسوله محمداً (14) ﷺ.

— قصة المشرك الذي أخذ سيق رسول الله ﷺ وهو نائم تحت الشجرة في غزوة ذات أرقاع، حيث ترك رسول الله ﷺ تحت سمرّة فعلق بها سيفه فنام ونام الصحابة وإذا رسول الله يدعوهم فجاءوه فإذا عنده أعرابي جالس، فقال رسول الله ﷺ: إن هذا اخترط سيفي وأنا نائم فاستقظت وهو في يده صلتاً، فقال لي: م يمنعك مني؟ فقلت له: الله. فهذا هو جالس... ثم لم يعاقبه رسول الله ﷺ (15).

فهذه من الخوارق، إذ كان من السهل الطبيعي بالنسبة لذلك المشرك وقد أخذ السيف ورفعته فوق النبي ﷺ وهو أعزل

(14) - محمد سعيد رمضان البوطي. فقه

السيرة. ص 187، 259، 261.

(15) - صحيح البخاري. 52/5 و 53 و 54.



والمسلمين<sup>(20)</sup>.

وقبل مواصلة حديثنا عن هذه المعجزات الحسية نذكر منها ما حدث مع مولده ﷺ مباشرة. مثل: شق إيوان كسرى. وحمزت نار فارس. وغاضت بحيرة ساوة. مما يعني أن هذا الوجود فرح بميلاد خاتم الأنبياء ﷺ اذي أتى ليعيد انسجام الإنسان مع الوجود كله، أو ليعيد انسجام الإنسان والكون في حضرة الجلالة الإلهية لأنه «وإن من شيء إلا يسبح بحمده»<sup>(21)</sup>. والإنسان هو الذي انحرف فأتى محمد ﷺ ليقوم اعوجاجه ويعيده إلى الانسجام مع الكون في عبادة الله وتسبيحه<sup>(22)</sup>. بل حد أن معجزات

الشاة المسمومة عندما أراد الأكل منها، وهي شاة مصلية (مشوية) أهدتها له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم بعد أن سمته وأكثرت السم في ذراعها بعد علمها بتفضيل النبي ﷺ أكل الذراع، وذلك يوم خير بعد فتح المسلمين لها<sup>(19)</sup>.

— علمه ﷺ بالكتاب الذي أرسله حاطب بن أبي بلتعة إلى وثنى مكة قبل ذهاب الجيش الإسلامي لفتحها. فلقد قال النبي ﷺ لبعض أصحابه اذهبوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها. فمن الذي أخبره بأمر هذا الكتاب وأطلعه على ما دار بين الظعينة وحاطب بن أبي بلتعة في شأنه؟ إنه الوحي وإذن فهي انبوة، وهي التأييد التام من الله تعالى لنبيه حتى يتم المخطط الإلهي للفتح الأعظم الذي أكرم الله به نبيه

(20) - محمد سعيد رمضان البوطي. فقه السيرة. ص 30، 331، 338، 367.

(21) - الإسراء: 44.

(22) - محمد متولي الشعراوي. معجزات الرسول ﷺ (ضمن مجموع). د ط. دار

(19) - وهذه الحادثة متفق عليها عند البخاري ومسلم.

الرسول ﷺ حدثت قبيل ميلاده ﷺ في عام ميلاده، ويتمثل ذلك في تدمير الله عز وجل لأبرهة الأشرم وجيشه بالطير الأبابيل، هذا الأشرم الذي أتى لهدم الكعبة التي يتكون قبله للنبي محمد ﷺ والتي سيولد بها وسينزل عليه الوحي فيها. وهذا يمكن القول أن الله عز وجل حافظ على مبنى البيت في ذلك العام وأوجد فيه الشخص الذي يحافظ على معناه في ذلك العام. فتكون المحافظة على المبنى بمنع أبرهة الأشرم من هدمه، هي عينها المحافظة على بقائه لربه بميلاد حبيبه ﷺ (23).

ومنها ما حدث في السنين الأولى بعد الميلاد، وفيها حادثة شق الصدر التي وقعت في السنين الخمسة الأولى من ميلاده ﷺ وهو في بني سعد مع مرضعته

الشروق، بيروت. 1981، ص 82.

(23) - المرجع نفسه، ص 82.

حليمة السعدية، حيث جاءه ملكان فشقا بطنه واستخرجا من قلبه علقة سوداء، فطرحاها ثم غسلا قلبه، حتى أنقياه ورداه كما كان (24). عن أنس أن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه، فاستخرجه، فاستخرج منه علقة، فقال : هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، ثم أعاده إلى مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه — يعني مرضعته — أن محمدا قد

(24) - أبو الحسن الندوي. السيرة النبوية. ط 5. دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة. جدة. 1983. ص 88.

انظر أيضا: ابن هشام: السيرة النبوية. تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلي ط 2. البابي الحلبي. مصر. 1955 م. ق 1. ص 164-165. والرواية هنا ملكان بينما حديث أنس أن الذي أتاه هو جبريل عليه السلام كما هو مبين.

قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون" (25).

وهذه القصة التي روعت حليلة وزوجها ومحمد مسترضع فيهم تكررت مرة أخرى بعد أن تجاوز رسول الله ﷺ الخمسين من عمره. فعن مالك بن صعصعة أن رسول الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسري به قال : بينا أنا في الخطيم — وربما قال في الحجر — مضطجع بين النائم واليقظان أتاني آت، فشق ما بين هذه إلى هذه — يعني ثغرة نحره إلى شعرته — قال : فاستخرج قلبي : ثم أتيت

(25) - حديث صحيح. أخرجه مسلم. (1/101-102) وأحمد (3/121، 149، 228) زاد في آخره: وقال أنس: وكنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره. وللحديث شواهد كثيرة منها عن عتبة بن عبد السلمي عن الدارمي (811) والحاكم (2/616) صحيحه ووافقه الذهبي. ومنها عن أبي بن كعب عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (5/139) ومنها عن أبي ذر عن ابن جرير في تاريخه (2/51-52).

بطست من ذهب مملوء إيماناً، فغسل قلبي، ثم حشي، ثم أعيد...". (27). (26) هذه بعض معجزات الرسول ﷺ الحسية، ونحتمها بالإشارة بالتفصيل الموجز إلى معجزة الإسراء والمعراج، وذلك لأنه محل طعن من رجال الاستشراق والتنصير. وقبل التحدث عنها نسجل بعض الملاحظات حول هذه المعجزات، هي :

— معجزات خاتم الأنبياء هي من الكثرة، ولم تختص بمكان دون مكان، لأن من حملتها اشتقاق القمر، وهو يعم الأرض وذلك لأن نبوة محمد ﷺ عامة، لا

(26) - حديث صحيح. أخرجه البخاري (6/332) ومسلم (1/103-104) والنسائي (1/76) من حديث مالك بن صعصعة. (27) - محمد الغزالي، فقه السيرة. د ط. دار الشهاب للطباعة والنشر. باثنة. الجزائر. دت. ص 63-64.



تختص بقطر دون آخر، وغاضت بحيرة ساوة في قطر، وسقط إيوان كسرة في قطر، وانهدمت الكنيسة بالروم، إعلاناً بأنه سيكون أمر عام<sup>(28)</sup>.

— هذه المعجزات وردت بأسانيد صحيحة وصل أكثرها إلى التواتر الفعلي أو المعنوي، وأضعفها سنداً أصبح ليس من معجزات "يسوع" من خلال العهد الجديد فحسب، بل من العهد الجديد نفسه الذي يفتقر إلى الصحة، وهذا يكفي في الرد على رجال الاستشراق والتنصير، وسيظهر لنا سبب تهجمهم على هذه المعجزة أثناء عرضنا لها.

#### معجزة الإسراء والمعراج :

حادثة الإسراء والمعراج ورد

بشأنها حديث الإسراء والمعراج، وهو متفق عليه لا تنكر قطعية ثبوته، وهو بإجماع جماهير المسلمين من أبرز معجزاته ﷺ<sup>(29)</sup>. وذلك لأن النص القرآني بين وأثبت أن الإسراء والمعراج قد تم بالفعل، بقظة لا مناماً، ذلك أنه... بقوله تعالى : ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله﴾<sup>(30)</sup>.

والتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، فلو كان مناماً لم يكن فيه كبير شيء، وإذن لم يكن مستعظماً.

ولو كان مجرد منام ما بادر كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم، كما أن العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد وليس ما يقع في

<sup>(29)</sup> - محمد سعيد رمضان البوطي. فقه

السيرة. ص 150.

<sup>(30)</sup> - الإسراء: 1

<sup>(28)</sup> - تفسير الفخر الرازي. م 12. ج 25. ص

80 عن محمد الأنور حامد عيسى. قضايا

عقدية. ص 122.

لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه<sup>(34)</sup>.

كما أن الفعل منسوب إلى الله عز وجل فهو يقول : «أسرى بعبده» أي الفاعل هو الله وليس محمداً، وإنما محمد ﷺ وقع عليه الفعل. فمحمداً ﷺ قال : أسري به لا هو الذي أسرى بنفسه. وهنا فإن من الحماقة والبلاهة أن نستغرب ذلك على الله، ومن الأمثلة الموضحة لهذا "لو قلت صعد بابي الرضيع قمة جبل هيمالايا، ايقول مجنون لي : كيف يصعد ابنك الرضيع قمة جبل هيمالايا؟ لا يقول لي أحد هذا، والذي يقول هذا يكون عقله مختلاً، إنما يقول لي "كيف صعدت أنت؟". وعندما يكون الله عز وجل هو الذي أسرى بمحمد فإن الحادثة تعد طبيعية بالنسبة إلى الله عز وجل، لأنه على

النام. وقد قال تعالى: «أسرى بعبده» كما أن الإسرائ لغة هو السير بالليل. وهو لا توصف به الروح، بل يوصف به الإنسان كاملاً بروحه وجسده إذا سار ليلاً من مكان إلى آخر، ولما كان هذا معنى الإسرائ فإن تأكيد به "ليلاً" له دلالة وأهميته.

وقال تعالى : «وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس»<sup>(31)</sup>. قال ابن عباس هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، والشجرة الملعونة هي شجرة الزقوم<sup>(32)</sup>. وقال تعالى : «ما زاغ البصر وما طغى»<sup>(33)</sup>. والبصر من آلات الذات لا الروح، وأيضاً فإنه ﷺ حمل على البراق، وهو دابة بيضاء براق لها لمعان، وهذا يكون للبدن لا للروح لأنها

(31) - الإسرائ: 60.

(32) - رواه البخاري.

(33) - النجم: 17.

(34) - ابن كثير إسماعيل. تفسير القرآن

العظيم. ج3. ص 23.

كل شيء قدير لا يحصى لقانون الشر،  
ولا إرمان ولا لمكان...<sup>(٣٦)</sup>.

ومن الأدلة أيضا على أنه كان بالجدس  
والروح يقظة لا مناما، أن الكفار عندما  
كدسوا النبي ﷺ في ذلك أتاهم دليل  
مادي قوي. ويتمثل ذلك في قوله مرهما  
هم على صدقه في رواية الإسراء: "آية  
ذلك أبي مررت بعير بني فلان يودي كد

وكد فأمرهم حسن الدابة — إهراق —  
فندّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى  
استام — التوجه بالفعل والاحسب لا  
بالروح وحدها ماما — ثم أقست حتى دأ  
كست صبحا<sup>(٣٧)</sup>. مررت بعير بني فلان،

<sup>(٣٦)</sup> - محمد متوي شاروي (إسراء  
ونعراج نقسم أحمد فرح د. ط. در  
شروق، القاهرة، بيروت، 1981، ص 35  
36).

<sup>(٣٧)</sup> - صبحا (سحريث) حل ناحية لخدمة  
على يريد من مكة وفد لواقدي صبحا  
ومكة 25 ملا (مصطفى إسف إبراهيم

فوجدت القوم نياما، ولهم إناء فيه ماء قد  
غطوا عليه بشيء فكشفت غطاءه  
وشربت ما فيه ثم غطت عليه كما كان،  
وآية ذلك أن غيرهم الآن يصوب<sup>(٣٧)</sup>. من  
لبصاء<sup>(٣٨)</sup>. ثنية التنعيم<sup>(٣٩)</sup>. يقدمها جمل  
أورق<sup>(٤٠)</sup>. عليه غرارتان إحدهما سوداء

أبدي وعد خمص شبي سيرة سوية  
لاين هشام، م1، هامش 5. ص 402  
<sup>(٣٧)</sup> - يصوب: يتر من يمن (مرجع نفسه،  
دمشق 1، ص 403).

<sup>(٣٨)</sup> - لبصاء: عقبة مكة فخصت بن فح  
بأسف مقبل من مدينة نريد مكة. أسف مكة  
من قبل دي صوي (مرجع نفسه دمشق 2 ص  
403).

<sup>(٣٩)</sup> - تنعيم. موضع مكة في حن، وهو بين  
مكة وسرف على فرسخ من مكة (مرجع  
نفسه دمشق 3 ص 403).

<sup>(٤٠)</sup> - لأورق: بني بونه بين حمرة وسود.  
(مرجع نفسه، دمشق 4، ص 403).

على أكثر من حزب وثن، فلو كانت  
حادثة الإسراء والمعراج مجرد رؤيا في المنام  
ما احتاجت إلى أن تخلد بأن تسمى بها  
سورة كاملة من طوال المفصل.

وهذا فإنه لا يمكن — في اعتقادنا —  
الاعتداد برواية أمنا عائشة (رضي الله  
عنها) التي تذكر فيها أن الإسراء تم  
بالروح فقط. وهو ما استند إليه بعض  
المنصرين الفرنسيين، وذلك لأنها خلاف  
ما بينه القرآن الكريم كما بينا آنفا، كما  
أن تلك الرواية تنقصها الدقة المطلوبة في  
معرفة الرواة، وها هي الرواية "قال ابن  
إسحاق: وحدثني بعض آل أبي بكر أن  
عائشة كانت تقول: ما فقد جسد  
رسول الله ﷺ ولكن أسري بروحه" (44).

فيجب أن يحدد هذا البعض، ويزيدنا  
اقتناعا بما سبق ذكره، أن أمنا عائشة  
(رضي الله عنها) روت حادثة الإسراء إلى

والأحرى برقاء<sup>(41)</sup>. قالت — أم هاني —  
فانتدر القوم الشية فلم يلقَهُمْ أَوَّلُ<sup>(42)</sup>. من  
الحمل كما وصف لهم. وسألوهم عن  
الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه مملوءا ماء ثم  
عطوه، وأنهم هبوا فوجدوه مغطى كما  
عطوه، ولم يجدوا فيه ماء، وسألوا  
الآخرين وهم بمكة فقالوا: صدق والله،  
لقد أنفروا في الوادي الذي ذكر، وندنا  
بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتى  
أحدها<sup>(43)</sup>.

يضاف إلى ما سبق، فإنه لأهمية  
الحدث، فقد سميت به سورة كاملة في  
القرآن الكريم من طوال المفصل، تحتوي

(41) - البرقاء: التي فيها ألوان مختلفة (المرجع  
نفسه. هامش 5. ص 403).

(42) - يريد أن الحمل كان أول من تلقبهم  
(المرجع نفسه. هامش 6. ص 403).

(43) - ابن هشام. السيرة النبوية. م. 1. ص  
403 402.

(44) - المصدر نفسه. ص 399.

المسجد الأقصى بالفعل وبيئت في حديثها ارتداد بعض ضعاف الإيمان بسبب ذلك، وتصديق أبي بكر رضي الله عنه للحادثة إلى آخر الحديث، وهذا الحديث رواه البيهقي بسند يصل إلى الزهري عن عروة عن عائشة<sup>(45)</sup>. ولا يمكن لأمتنا عائشة أن تروي روايتين متناقضتين، ولما كانت هذه الثانية هي المتوافقة معصوص القرآن الكريم فإنه يجب الأخذ بها.

وهنا نتوصل إلى التساؤل عن الأسباب التي جعلت رجال الإكليروس والاستشراق يطعنون في حادثة الإسراء والمعراج. فمن أهم تلك الأسباب :

أنه ورد فيها أن الرسول ﷺ أمّ الأنبياء في بيت المقدس بعد رجوعه إليه من المعراج. لأنه ﷺ كما مرّ بهم في منازلهم في السماء جعل يسأل عنهم جبريل عليه

<sup>(45)</sup> - ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. ج3. ص 21.

السلام واحدا واحدا وهو يخبره بهم. وهو ما علق عليه ابن كثير قائلا : " وهذا هو اللائق، لأنه كان أولا مطلوبا إلى الحجاب العلوي ليفرض عليه وعلى أمته ما يشاء الله تعالى، ثم لما فرغ من الذي أريد به اجتماع به هو وإخوانه من السيّين - ومهم المسيح عليه السلام - ثم أظهر شرفه وفضله عليهم بتقديمه في الإمامة، وذلك عن إشارة جبريل عليه السلام له في ذلك"<sup>(46)</sup>. وهذا هو - في نظرنا - أحد أسرار حقد رجال الإكليروس وتكذيبهم لهذه الحادثة، لأنها تبين تبعية المسيح لمحمد ﷺ، وتفضيل<sup>(47)</sup>. محمد ﷺ

<sup>(46)</sup> - المصدر نفسه. ج3. ص 23.

<sup>(47)</sup> - الواقع أن تفضيل محمد ﷺ على سائر الأنبياء ورد في أحاديث صحيحة منها: قوله ﷺ: "أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر" رواه أحمد في مسنده والترمذي وابن ماجه عن أبي سعيد وهو حسن. ومعناه لا أقول ذلك فخرا بنفسي، بل تحدثا بنعمة ربي. وقوله ﷺ: "أعطيت خمسا لم



على المسيح وعلى سائر الأنبياء. ورجال الإكليروس يعملون بلا هوادة على طمس

— القسم: من يقسم الله على أشياء ليؤكد أنها فإنه يقسم بأشياء كثيرة من أحاسن شتى، فيقسم بالخماد والنبات والحيوان والملائكة، ولكنه لم يقسم ببشر مطلقاً إلا برسوله محمد ﷺ حيث يقول: "لعمرك إني سكرتم يعمهون" (الحجر: 72) أي وحياتك يا محمد. وهذا فإن عمر رسول الله وحياته أمر له مقامه عند الله (محمد متولي الشعراوي. معجزات الرسول ﷺ. ص 74-75).

— الصلاة: الله عمّ الأنبياء بالسلام ومحمد ﷺ وخصه دونهم بالصلاة، فقال تعالى عن يحيى: "وسلام عليه يَوْمَ ولدَ ويَوْمَ يموتُ ويَوْمَ يعثُ حيا" (مريم: 14). وقال عن عيسى — وهذا بيت القصيد —: "والسلام عليّ يَوْمَ ولدتُ ويَوْمَ أموتُ ويَوْمَ أبعثُ حيا" (مريم: 32). وقال عن محمد ﷺ: "إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً" (الأحزاب: 56) فهو الوحيد الذي حصّ بالصلاة من الله والملائكة والمؤمنين.. الخ

يعطيه أحد قبلي. كان كل نبي يعث إلى قومه ضام. وبعث إلى كل أحر وأسود. وأحلت لي العائم ولم تحل لأحد قبلي. زجعت لي الأرض طيبة طهوراً ومسجداً، فأبى رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان. ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة. رواه الشيخان/ عن رشدي محمد علي وقحطان عبد الرحمن الدوري. ط 4. وزارة التعليم العالي والبحث العلمي. جامعة بغداد. 1990 م. ص 380-381

ولقد فضله القرآن الكريم على سائر الأنبياء، ومن ذلك:

— الخطاب: فحين يخاطب الله جميع الرسل إماماً يخاطبهم بأسمائهم مباشرة، فيقول: "ويا آدم عن هذا عدو لك ولزوجك" (طه: 117). ويقول: "يا نوح اهبط بسلام منا" (هود: 48). ويقول: "يا عيسى بن مريم أئت قلت للباس اتخذوني وأمي بهين من دون الله..". (المائدة: 116). ولكنه حينما يتوجه بالخطاب إلى حبيبه الأعظم لم يقل له: يا محمد، وإنما قدم بين يدي ندائه قوله: "يا أيها النبي" ذلك أمر يضع رسول الله ﷺ فيرفعه إلى أقرب المكنات من ربه.

دين محمد ليثبتوا أن نصرانية بولس وقسطنطين هي الدين الخاتم. وهنا نتوصل إلى السبب الآخر الذي جعلهم يكونون حقدا لا نظير له على خاتم الأنبياء هو أن إمامة خاتم الأنبياء في بيت المقدس، إنما هي إقرار مبين بأن الإسلام كلمة الله الأخيرة إلى خلقه أخذت تمامها على يد محمد ﷺ<sup>(48)</sup>، وأن إسرائه ﷺ من مكة إلى بيت المقدس يعد بمثابة إدخال بيت المقدس في مقدسات الدين الجديد. وهذه العملية توضح وتبين أن دينه يهيمن على كل البقع وكل مقدسات البقع، ولا سيما أننا اتجهنا إليه أولا، وبذلك فلا يستطيع أحد أن يقول: أنتم لكم دينكم ونحن لنا ديننا، صحيح أن ديننا جاء في مكة، لكنه مهيمن على سائر الكتب، ورسولنا مهيمن على مقدساتهم، وهذه المقدسات داخلية أيضا في مقدساتنا، وبالإسراء

والمعراج إذن أصبح بيت المقدس في مقدساتنا لأنه صار منتهى مسرى النبي وبداية معراجه ﷺ<sup>(49)</sup>. وهذا هو السر الذي يوجب علينا نحن المسلمين تحرير كل فلسطين من اليهود المستعمرين، وهو السر نفسه الذي جعل المبشرين في الجزائر إلى اليوم يعملون بلا هوادة ليرسخوا في أذهان المخدوعين من الجزائريين أن فلسطين أرض اليهود التاريخية ولذلك فلا يجوز إخراجهم منها.

ويضاف إلى السببين السابقين أنه مما ورد في حديث الإسراء والمعراج برواية البخاري أن النبي ﷺ صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح فوجد فيها يحيى وعيسى عليهما السلام فسلم عليهما فردا السلام ورحبا به ﷺ ثم صعد إلى السموات التي فوقهما، والنصاري لا

(48) - محمد الغزالي. فقه السيرة. ص 138.

(49) - محمد متولي الشعراوي. الإسراء والمعراج. ص 45-46.

— وذكر قصة المعراج وثمرته بقوله :  
 ﴿... ولقد رآه — يعني جبريل — نزلة  
 أخرى عند سدرة المنتهى... لقد رأى  
 من آيات ربه الكبرى﴾<sup>(52)</sup>. فأوضحت  
 آيات المعراج أن الرسول ﷺ شهد —  
 بالفعل — بعض هذه الآيات الكبرى<sup>(53)</sup>.

وتذييل آية الإسراء بقوله : ﴿إنه هو  
 السميع البصير﴾<sup>(54)</sup>. فإنه يبين العلة  
 الحقيقة التي جعلت الله عز وجل يسري  
 برسوله ﷺ فقد سمع الله الإيذاء الذي

يعجبهم أن يسمعوا أن محمدا ﷺ غلا به  
 فوق المسيح ووصل إلى ما لم يصل إليه  
 المسيح عليه السلام. وإذا عبرنا بتعبير  
 النصراني قلنا: لا يعجبهم أن يسمعوا أن  
 محمدا ﷺ صعد فوق ربه وأصبح هو  
 فوق ورهه تحت.

والخلاصة مما سبق : أن الإسراء  
 والمعراج وقعا بالفعل روحا وجسدا، وقد  
 أشار القرآن الكريم إلى كلتي الرحلتين في  
 سورتين مختلفتين :

— ذكر قصة الإسراء وحكمته بقوله :  
 ﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من  
 المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى  
 الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه  
 هو السميع البصير﴾<sup>(50)</sup>. فتعليل الإسراء  
 كما نصت عليه الآية أن الله يريد أن يرى  
 عبده محمدا ﷺ بعض آياته. <sup>(51)</sup>

الإسراء والمعراج فليرجع إلى تفسير ابن كثير، ج 3  
 ص 2-24. وقد أورد الروايات الكثيرة لحديث  
 الإسراء والمعراج، وكذا سيرة ابن هشام، م 1. ص  
 403. وفقه السيرة. محمد الغزالي. وفقه السيرة  
 للبوطي. والإسراء والمعراج للشعراوي وغير ذلك  
 من كتب السيرة وكتب الصحاح.

<sup>(52)</sup> - النجم: 18.

<sup>(53)</sup> - محمد الغزالي. وفقه السيرة. ص 134-

135.

<sup>(54)</sup> - الإسراء: 1.

<sup>(50)</sup> - الإسراء: 1.

<sup>(51)</sup> - ومن أراد أن يعرف ما رأى من آيات في

أوذى به رسول الله ﷺ وقد رأى الله ما تعرض له محمد ﷺ من الجفاء والاستهزاء والسخرية والإهانة، كل ذلك بمراى. ومسمع من الله. فحين رأى الله ذلك وسمع أرد أن يري حبيبه محمد ﷺ الآيات، فأسرى به (55).

وهكذا فإن حادثة الإسراء والمعراج وردت بنص القرآن الكريم وتواترت الأحاديث الصحيحة التي رواها مختلف الرواة من البخاري ومسلم وغيرهما بطرق مختلفة بلغت من الصحة درجة القطع، وهي بإجماع جماهير المسلمين من أبرز معجزاته ﷺ (56).

ونختم حديثنا عن هذه المعجزة بالقول بأن رجال الاستشراق والتبشير ينكرون

ذهاب النبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلا وصعوده إلى السماء وعودته إلى مكة في ليلة واحدة. ولكنهم يؤمنون بما هو أعجب من هذا وهو إيمانهم بأن المسيح صلب وقتل ودفن ثم قام من الأموات وصعد إلى السماء وجلس على عرش الله (57). وهذا رغم تناقض الأناجيل وثافتها في هذه القصة وغيرها.

ونختم حديثنا عن المعجزات الحسية للنبي ﷺ بالقول بأنه رغم كثرة المعجزات الحسية للنبي ﷺ إلا أن معجزته الأساسية هي القرآن الكريم، وبذلك نستطيع القول بأن معجزات السابقين قصد بها قهر الأمم على الاقتناع بصدق النبوة، فهي تدعيم لهم أمام اتهام الخصوم لهم بالادعاء.

(55) - محمد متولي الشعراوي. الإسراء

والمعراج. تقديم أحمد فراح. ص 34.

(56) - محمد سعيد رمضان البوطي. فقه

السيرة. ص 150.

(57) - عبد الوهاب النجار. قصص الأنبياء ط

3. مكتبة القدسي. مكتبة النهضة العربية. د م

ن. د. ت. هامش ص 398.

حسبنا ترى العيون إعجازه رأي العين، بل كانت أمرا معنويا تتأمله العقول والأفهام، وتتعرفه المدارك البشرية في كل الأزمان، ولم يفقد صحبته ولم يزل إعجازه كرم الغداة ومر المشي<sup>(60)</sup>. إنه القرآن الكريم.



في القرآن مجتمعات الإنسان والحي

على أنه بآثاره المعجزات

القرآن والآثار المعجزات

بعضهم لبعض فهموا



<sup>(60)</sup> - محمد أبو زهرة. شريعة القرآن من دلائل إعجازه. (سلسلة الثقافة الإسلامية. المجموعة الرابعة. 31-36). دار الثقافة العربية للطباعة. القاهرة. سبتمبر 1961 م. ص 7.

وسيرة محمد ﷺ فوق هذا المستوى، فقد تكفل القرآن الكريم بإقناع أولي النهى من أول يوم. وجاءت الخوارق في طريق الرسول ﷺ نوعا من التكرم لشخصه وإيناسه لا معكزة ولا معطلة للمنهج العقلي العادي الذي اشترعه القرآن الكريم.<sup>(58)</sup>

ونستطيع القول أيضا :

إن رسول الله ﷺ أعطاه الله المعجزات التي أعطها للرسول السابقين، ثم ميزه بمعجزة أخرى باقية، وبذلك فإن إجراء المعجزات الكونية على يده ﷺ هو تسوية له بإخوانه من الرسل. وكانت تثبيتا ليقين الصحابة آنذاك. وبحي المعجزة الباقية إنما هو زيادة لمكانته ومقامه على الرسل<sup>(59)</sup>. هذه المعجزة لم تكن مادة تفرع، ولا أمرا

<sup>(58)</sup> - محمد الغزالي. فقه السيرة. ص 140.

<sup>(59)</sup> - محمد متولي الشعراوي. معجزات الرسول ﷺ. ص 92-93.